JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م /١٤٤٤هـ
العدد السادس عشر
(١٧)- (٣٣)

الإضراب بـ (بل) وأثره في التماسك النصي في القرآن الكريم

د. علاوي كيطان ردام
وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة / مركز واسط
arabdam@uowasit.edu.iq

المستخلص :

يرمي البحثُ إلى الوقوف على أثر حرف الإضراب "بل" في التماسك النصّي في آيات المصحف الشريف ؛ لتأكيد نصَية النَّص ؛ وللكشف عن الأسرار الدلالية والبلاغية والأدبية والفنيَة التي يضمرها النص استنادا إلى الأُسس التي وضعها اللسانيون ومنها التماسك النصي ، حيثُ يؤدي حرفِ الإضراب "بل" دورا دلاليا ووظيفيا مهما في الجملة ، إذ لا يمكن الاستعاضةُ عنه بحرف آخر يؤدي وظيفته نفسها ، فهو يعمل على ربط الجمل وجعلها مسبوكة متماسكة ، فقد يستعاض بِه عن محذوف يفصح عنه سياق الكلام ، أو يبطل به حكما ، أو ينتقل به إلى حكمٍ مغاير ، مما يكسب النَّص تماسكا ودلالة أعمق .

الكلمات المفتاحية : التماسك ، النص ، الإضراب .

Rejection with “Rather” and Impact on Textual Coherence in the Holy Quran

Dr. Allawi Kaitan Radaam
Open College of Education, Wasit Campus
arabdam@uowasit.edu.iq

Abstract :

This paper aims to investigate the contradictory device “rather” in standard Arabic from a Koranic perspective in terms of text cohesion. This grammatical device plays a significant role in sentence connection as it expresses semantic, rhetorical, and discourse functions. The device “rather”

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م /١٤٤٤هـ

suggests not only rejection and refusal but also conveys connection. This paper, accordingly, draws on cohesion and sentence discourse functions as important indicators of meaning, especially when other elements are deleted in lengthy texts and complex sentences.
Keywords: coherence , Text , Rejection .

المقدمة :

القرآن الكريم كتاب لا تنضب أسراره ، ولا تنفد أغواره ، تماسكت نصوصه ، و تعاضدت دلالاته ، وسبكت آياته سبكا ، يأزر بعضه بعضا ، فعجز الباطل أن يأتيه من بين يديه أو من خلفه ، فصار مقصدا للطالبين ، ينهلون منه فلا ينقص ، فتبارك الله خالق الكلامِ والمتكلمين .

شغل مصطلح " الإضراب " حيزا في كتب التأليف اللغوي والنحوي بالدرجة الأساس ، وتعددت أدواتها ، لكننا سنركز البحث في أداته الأصلية " بل" بوصف الأُخريات توابع لها ، وهي من الروابط اللفظية بين أجزاء الجملة ، وهي بعامة تفيد إضراب ما قبلها وإثبات ما بعدها ، وليس الأمر حكرا على هذه الدلالة فحسب ، فقد تخرج لأسباب دلالية تحددها مقتضيات السياق الذي ترد فيه .

وتعدُّ "بل" منَ الأدوات المائزة التي تكسب النصَّ تماسكا وسبكا وتضاما بعضه لبعض ، فرأينا أن نبين دور هذه الأداة التي وردت في آيات من كتاب الله العزيز في التماسك النصي أو ما اصطُلح عليه بـ" لسانيات النَّص" ، وستكون خطةُ البحث التي على النحو التالي :

أولا : التماسك النصي بـ(بل) في باب الإضراب عن جمل محذوفة .

ثانيا : التماسك النصي بـ(بل) في باب الإضراب الإبطالي .

ثالثا : التماسك النصي بـ(بل) في باب الإضراب الانتقالي .

وختم البحثُ بأهم النتائج التي توصل إليها .

التمهيد

يعدُّ مفهوما " التماسك" و " النص" من المفاهيم الرئيسة في نظرية " علم اللغة النصي Text Linquistics " ، وقد حاول الباحثون في لسانيات النَّص التوسع في الدراسات اللغوية والانتقال من "نحو الجملة" إلى "نحو النَّص" ، ووسعوا نظرتهم اللغوية ؛ فمالوا إلى وصف بناء النَّص بوصفه الوحدة الكُبرى في أيِ تحليلٍ أو وصفٍ لُغوي ، وتندرج مسببات التماسك النصي بضمن أبجديات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

نحو النَّص ، بوصفه يعنى بـ " ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة"(فارع وآخرون ٢٠٠٠، ص٢٠١) .

ولأنَّ ميدان الدراسة هو كتاب الله تعالى الذي عكف القدماء والمحدثون على تبيان معانيه ، وفسروا آياته بما يملكون من أدوات لغوية وغير لغوية ، لا بدَّ من الإشارة إلى وجود قسمٍ من مفاهيم مصطلح "التماسك النصي" عند القدماء ، وإن كان غير موجود بلفظه لديهم .

إنَّ هذا الجانب من البحث طرقه كثير من الباحثين في الدراسات اللسانية الحديثة ، وفصلوا القول فيه ، وأثبتوا أنَّ جذور الدراسات اللسانية الحديثة واضحةٌ للعيان لدى اللغويين العرب القدامى ، من ذلك ما أشار به الجاحظ (٢٥٥هـ) إلى قضية السبك والحبك في الشعر العربي ، قال : " فأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "(الجاحظ ١٤٢٣ ، ص١٨) .

ومثل ذلك ما نلمسه عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي أشار إلى النظرة الكلّية للنَّص والتناسق والتماسك بين أطرافه ومكوناته ، قال : " واعلم أنَّ من الكلام، ما أنت تعلم إذا تدبَّرته، أنْ لم يحتج واضعه إلى فكرٍ وروية حتى انتظم، بل ترى سببله في ضم بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى آلٍ، فخرطها في سلك لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرُّق. وكمن نضد أشياء بعضها على بعضٍ، لا يريد في نضده ذلك، أن تجيء له منه هيئةٌ أو صورةٌ، بل ليس إلا أن تكون مجموعةً في رأي العين، وذلك إذا كان معناك معنى لا يحتاج أن تصنع فيه شيئاً، غير أن تعطف لفظاً على مثله"(الجرجاني ، ص١٢٦) ، ولم يكتف بذلك بل تعداه إلى التماسك الكلي للنص ، وحاجة الجمل إلى بعضها ، قال : " على أنك تعطف تارةً جملةً على جملة وتعمد، أخرى، إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضا على بعضٍ، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك"(دلائل الاعجاز،ص ٢١٦) .

فضلا عن علماء آخرين يطول المقام بذكر آرائهم وأقوالهم في قسمٍ من مفاهيم التماسك النصي من أمثال اسامة بن منقذ (٥٣٠هـ)(منقذ ، ص١٠٠) ، وجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)(السيوطي ١٩٨٣ ، ص٧٨) ، وابن طباطبا العلوي (٩٨٢هـ)(العلوي ١٩٨٢ ، ص١٢٩) .

أما المحدثون فقد برز لديهم مصطلح" التماسك النصي أو الشكلي" جليا ، وعدوه مفصلا جوهريا في التمييز بين " النَّص والـ (لا نص)" ، وقد فصل القول في ذلك هاليداي ورقية حسن(الفقي ٢٠٠٠،ص٩٣) ، إذ تقف وظيفة الروابط الكلامية في النَّص على رأس وظائف أجزاء الكلام الأُخرى ؛ فهي تربطُ الألفاظ والدلالات ليكون النَّص بها قطعة واحدة ، فضلا عن دورها في شد ذهن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المتلقي للنص بسبب التتابع الذي تنتجه المعاني المضمرة في كل أداة ، فوجود روابط الكلام ومنها "بل" يقتضية وجود علائق موجبة لا يمكن الاستغناء عنها بين أجزاء الكلام .

وتعددت أوجه ترجمة مصطلح التماسك عن الانكليزية " Cohesion" الى العربية ، منها : الاتّساق ، السَّبك ، التَضام ، الالتئام ، الحبك ، التماسك ، الانسجام ، وفي ظل هذا التعدد المصطلحي صعب الاتفاق على المفهوم والدلالات ، وقد يكون الأقرب إلى المفاهيم المخبوءة في المصطلح هو ما ذهب إليه صبحي الفقي الذي وسمه بـ" التماسك الشكلي"(الفقي ٢٠٠٠،ص٩٦) ، وهو بذلك ينأى بالمصطلح عن الفرع الآخر للتماسك المعني بالتماسك الدلالي والروابط الدلالية ، فالأول يدرس الأدوات اللغوية وأثرها في تماسك النَّص وهو موضوع بحثنا ، أما الثاني فيدرس تماسك الأفكار والدلالات والمضامين الفكرية .

أما الإضراب فمشتقٌ من الفعل "أضرب" ، و " أضرب فلانٌ عن الأَمر فهو مضرِب: إذا كفَّ "(الازهري ٢٠٠١ ، ص١٥) ، فهو يعني الكفَّ والترك ، فـ " أضرب عن كذا أي كفَّ عنه وتركه "(ابن منظور ١٤٤١ ، ص٥١٥) .

أما في الاصطلاح فقد جاء في كتب النحاة والبلاغيين ، وأبين التعريفات ما ذهب إليه الرضي (٦٨٤ هـ) ، فهو عنده " جعل الحكمِ الأول ، موجبا كان أو غير موجب ، كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه ، ففي قولك : ما جاءني زيدٌ ، بل عمرو ، أفادت (بل) أنَّ الحكم على زيد بعدم المجيء كالمسكوت عنه ، يحتمل أن يصح هذا الحكم فيكون زيدٌ غير جاء ، ويحتمل ألّا يصحَّ فيكون قد جاءك ، كما كان الحكم بمجيء زيد في : جاءني زيد بل عمرو ، احتمل أن يكون صحيحا وألّا يكون"(الاسترابادي ١٩٩٦ ، ص ٤١٧، ٤١٨) ، ويستدلُّ من تعريف الرضي أنَّ ما قبل (بل) مسكوتٌ عنه نفياً وإثباتا ، وهو غير ذي أهمية سواء أكان متحققا أم غير متحقق ؛ فقد أُبدل بما بعد (بل) ، وهذا لا يجيز إمكانية حذفه من الكلام ، فهو متمم لما بعد ، ويذهب لدلالات يكشفها السياق الذي يرد فيه كما سيتضح .

أولا : التماسك النصي بـ(بل) في الإضراب عن جمل محذوفة .

ازدانت العربية بظواهر انفردت بها ، ومنها ظاهرة الحذف التي أسهبت كتب اللغة بعامة وكتب البلاغة والنحو بخاصة في تبيان فضائلها على دلالات التراكيب التي ترد فيها ، وأجمل وأوضح من بين تلكَ الفضائل عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، فذكر في دلائله أنه " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأَمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أَفْصح من الذكْر، والصمت عن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الإفادة، أَزيدَ للإفادة؛ وتجدُك أَنطَقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأَتمَّ ما تكونُ بيانا إذا لم تُبِنْ؛ وهذه جملةٌ قد تنكرُها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظُر"(الجرجاني ، ص١٦٣) .

والإضراب بـ(بل) يقتضي كلامين قبلها وبعدها ، فهي تضرب عما قبلها بما بعدها ، ومن خواص الإضراب بها أنَّ ما قبلها قد يحذف لعلل بلاغية ودلالية ، وهو ضربٌ من الكلام لا يسهل بناؤه ، ويقتضي السياق إليه ، وتختزله (بل) بنفسها ، ويكون ما بعدها مفسرا لما حذف .

يذهب هاليداي ورقية حسن في معاييرهما التي وضعوها لتأكيد نصية النص إلى أهمية الحذف في سبك النص ، وما يترتب عليه من إشراك المتلقي في استكناه المعاني المضمرة فيه ، إذ يذهبان إلى أنَّ الحذف " علاقة داخل النَّص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النَّص السابق ، وهذا يعني أنَّ الحذف علاقةٌ قبلية ، ... إذ لا يحلُّ محلَّ المحذوف أيُّ شيء ، ومن ثمَّ نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأُولى أو النَّص السابق"(خطابي ١٩٩٩ ، ص٢١) ، فالحذف بحسب ما يذهبان إليه هو عملية تحفيز لعقل المتلقي في الذهاب إلى المعاني المضمرة في النص ، بخلاف عدم الحذف فإنه لا يترك للمتلقي مساحة للتفكير في توقع المعاني .

وبالعود إلى النصوص الشريفة نجد المفسرين قد وجدوا هذه المساحة الذهنية في الموارد التي جاء بها المضرب عنه محذوفا قبل (بل) فراحوا يؤولونه بحسب ما يقتضيه سياق الآيات ، ولم تكن هذه الإباحة التقديرية لتكون لولا ذلك الحذف .

من ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ الأنبياء ٣٩ ، ٤٠ ، فقبل " بل تأتيهم " استدراك مقدر قبله نفي"(عطية ١٤٢٢، ٤/ ٨٣) ، وتنوعت تقديرات المفسرين للمحذوف وإن كانت لا تبتعد كثيرا في مضامينها ، لكنَّ ذلك أعطى النص سبكا وتماسكا ، ووسع مدياته التفسيرية واللفظية ، بخلاف ما لو كان المحذوف موجودا ، يقول الطبري في المحذوف : " لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون "(الطبري ٢٠٠١ ،ص ٤٤٥) ، و قدر ابن عطية (٥٤٢هـ) محذوفا في الكلام قبل (بل) ، والتأويل " أن الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم بل تأتيهم بغتة "(عطية ١٤٢٢، ٣/ ٨٣) ، فالطبري قدر المحذوف بعلمهم ، وابن عطية قدره بإرادتهم لها .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ بَل جِئنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمتَرُونَ ﴾ الحجر ٦٣ ، ، قدّر الزمخشري (٥٣٨ هـ) محذوفا قبل (بل) مؤولًا لهَ ، قال : " ...مَا جِئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله"(الزمخشري ٢،١٤٠٧/٥٨٣) ، ووجه ابن عطية ما قبل (بل) المحذوف بما بعدها ، وهو الإجابة بما هو مضمر في نفس نبي الله لوط (ع) من خوفه عليهم من قومه الذين يعملون الفاحشة لأنهم غير معروفين لديهم ، " فقالت الرسل للوط بل جئناك بما وعدك الله من تعذيبهم على كفرهم ومعاصيهم "(عطية ١٤٢٢/ ٣/ ٣٦٧) ، وصرح ابن عادل (٧٧٥هـ) بالمحذوف قبل (بل) ، قال : " قوله: ﴿ بِل جِئنَٰكَ﴾ إضراب عن الكلام المحذوف، تقديره: ما جئناك بما ينكر ﴿ بِل جِئنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمتَرُونَ ﴾ "(عادل ١٩٩٨،ص ٤٧٥) .

والمفسرون في توجيههم للآية وتقديراتهم لمحذوفاتها إنما اعتمدوا السياق العام للآيات الكريمة ، فللسياق كما ذهب جون لاينز " علاقةٌ مباشرة بتفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة "(لاينز ١٩٨٧ ، ص ٢٤٢) ، وما دفع المفسرين إلى تقدير محذوف لـ(بل) هو حاجتها وفق المقاييس اللغوية إلى مضرب عنه لإتمام جملتها ، فالبنية السطحية لها تقتضي تقدير ذلك المحذوف للوصول إلى بناها العميقة ؛ لأنَّ " إعادة الترتيب يقتضي التسليم بمبدأ الأصلية والفرعية في اللغة ، أي : لا بدَّ من وجود تركيب أصلي أو صيغة أصلية اعتراها الحذف أو الزيادة أو تغيير ترتيب عناصرها "(حمودة ١٩٩٨ ، ص ١٧) ، وهنا تبرز علّة استعمال الآية الكريمة لحرف الإضراب وأثره في إعطاء النص تماسكا وسبكا .

إنَّ الحذف يؤدّي إلى تماسك النص وإلى إثبات نصيته من خلال جوانب معينة ، منها : " تقدير المحذوف ، والصلة بين المحذوف والدليل عليه أو المذكور ، وصلة هذا الحذف بكل من المرجعية والتكرار "(الفقي٢٠٠٠، ٢/ ٢٢٥) ، ويمثّل دور المتلقي ركيزة أساسية في تحقيق تلك الجوانب ، فهو " يمثل أهمَّ جوانب نظرية التفكيك "(الفقي٢٠٠٠، ٢/ ٢٢٥) .

ففي قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئتَنَا بِٱلحَقِّ أَم أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُم رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ الانبياء نرى حذف المضرب عنه جَليا ، حيث عوّضت (بل) المحذوفَ ، وأشعرت به ، وأبعدت الآية الكريمة عن الإطناب ، فما قبلها في الآية ليس هو المضرب عنه ، بل هو محذوف يفسره الموجود ، يقول القرطبي (٦٧١هـ) مقدرا المحذوف : " أي لستُ بلاعبٍ بل ربُّكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والأرض"(القرطبي ١٩٦٤ ، ص٢٩٦) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وقد تشعر (بل) بالمحذوف الذي يدلُّ الكلام عليه ؛ لأنَّ وجوده يصرف نظر المتلقي عما قبلها ، فتسبك الكلام وتجعل دلالته مبتنية على تماسكه ، مثال ذلك ما وجه به الزمخشري (٥٣٨هـ) قوله تعالى : ﴿ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين ٦٥ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ٦٦﴾ الزمر ٦٥. ٦٦ ، فذكر أنَّ ثمة حذف قبل (بل) وهو المضرب عنه ، وتأويل النص " لا تعبد ما أمروك به بل إن كنت عاقلا فاعبد الله "(الزمخشري ١٤٠٧ ، ٤/ ١٤٢) .

إنَّ عناصر الجملة من مسند ومسند إليه فضلا عن عناصر أُخرى لم يوجب القانون اللغوي ذكرها في الجملة ، يقول جوزيف فندريس Joseph Vendryes مؤكدا هذا المعنى : " والجملة تقبل بمرونتها أداء أكثر العبارات تنوعا، فهي عنصر مطاط "(فندريس١٩٥٠ ، ص١٠١) .

وفي هذا السياق نرى في قوله تعالى : ﴿ قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يإبراهيم ٦٢ قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم إن كانوا ينطقون ﴾ الأنبياء ٦٢ ، ٦٣ أنَّ (بل) قد اختزلت دلالات لإرادة المتكلم في إيصالها ، فقبلها نفي محذوف غير مضرب عنه ، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ) : " لم أفعله، إنما الفاعل حقيقة الله تعالى "(الحلبي ، ص١٧٧) ، فإبراهيم "ع" لم يرد أن يدفع الفعل عن نفسه إنما أراد أن يلزمهم الحجة على عجز آلهتهم عن فعل شيء ، فانظر كيف أدت (بل) تلك المقاصد ، وتكثفت بها المعاني دون إخلال بإرادة المتكلم ، يقول أبو السعود (٩٨٢هـ) : " سلك عليه السلام مسلكاً تعريضياً يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع مافيه من التوقي من الكذب حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه ، المعرض فعلا يجعل الفأس في عنقه وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرهم أكبر وأشدَّ حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه " (العمادي ، ص٧٤) ، وفضلا عن ذلك فإن هذه الآية الكريمة تثبت أهمية السياق في تحديد معاني الأدوات والتوسع في وظائفها أنَّ الإضراب بـ(بل) القرآنية لا يراد بها إبطال ما قبلها دائما ، فالسياق هو الذي يحدد الإبطال من عدمه ، كما ورد في الآية السالفة ، يقول أبو حيان : " هي لترك اللفظ المتقدم من غير إبطال لمعناه واخذ في لفظ آخر "(الاندلسي ١٤٢٠، ص٨٧) ، وهذا ما أكسب النص تماسكا أكثر مما لو كانت بل مقصورة على الإضراب عما قبلها .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م /١٤٤٤هـ

والتقابل اللفظي سمة قسمٍ من تراكيب العربية ، منها ما يذكر طرفاه كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل ٱللَّه أموت بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ البقرة ١٥٤ ، فالتقابل هو طرفا جملة (بل) ٱلأحياء والأموات ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يحسبنَّ ٱلذين يبخلون بما ءاتٰهم ٱللَّه من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ﴾ آل عمران ١٨٠ ، والتقابل هنا هو الخير والشر ، وقوله تعالى : ﴿ وقالت ٱليهود يد ٱللَّه مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ﴾ المائدة ٦٤ ، والتقابل هو الغل والبسط .

ومنها ما يحذف أحد طرفيه ، ويكون متوقعا لا لبس فيه ، ويؤدي إلى سبك الكلام أكثر مما لو كان مذكورا ، وقد ذكره من لغويي العرب الزركشي (٧٩٤هـ) ، وكناه بـ (الحذف التقابلي) ، ووجهه بـ " أن يجتمع متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه "(الزركشي ١٩٥٧ ، ص١٢٩) ، ، من ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ٱتَّبعوا مآ أنزل ٱللَّه قالوا بل نتَّبع مآ ألفينا عليه ءاباءنآ﴾ البقرة ١٧٠ ، وقدروا الكلام " لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا "(الزركشيّ ١٩٥٧،ص ١٠٣) ، فحذف المضرب عنه لأنَّ تقدير المحذوف قبل (بل) مقطوع بتأويله مع أمن اللبس عمد كتاب الله تعالى إلى حذفه ؛ ولم يكن القصد تخفيف الكلام فحسب ، بل زيادة في تماسكه ، والله العلم بمراد كتابه .

ثانيا : التماسك النصي بـ (بل) في باب الإضراب الإبطالي .

عرف الإبطال بأنه " إفساد الشيء وإزالته"(الاصفهاني ١٤١٢ ، ص١٣٠) ، ولم يبتعد معناه كثيرا عن هذا المعنى في كتب النحو ومنها معناه في باب الإضراب ، فالاضراب الابطالي يقصد به العدول عن موضوع إلى موضوع، مع إبطال حكم الموضوع الأول ، فقد ذكر النحاة أنَّ حرف الإضراب(بل) يدخل على المفرد والجملة ، " فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عما قبلها، إما على جهة الإبطال .. "(المرادي ١٩٩٢ ، ص٢٣٥) .

إنَّ من مرامي تماسك النص هو الوقوف عند القوانين النحوية وتوظيفها للربط بين أجزاء النص الذي تكونه الجمل ، وبما أنَّ النص هو مجموعة جمل وتراكيب متتالية مسبوكة فيجب " أن ننظر إلى تلك المجموعة من الجمل ,أن نحللها سعيا لاكتشاف ما بينها من التضام ، والتماسك ، فإن لم نجد ما يوضح ذلك فهي ليست نصا "(خليل ١٩٩٧ ، ص١٣٥) .

يرى فان دايك أنَّ من مهام الروابط الكلامية هو " تنضيد الجمل ، وترتيبها على وفق المعنى ، وتسلسله ، ومطابقته للربط ، وانسجامه مع مقاصد الكاتب "(خليل ١٩٩٧ ،ص ١٤١) ، وقد جاءت

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

(بل) في بعض الموارد من كتاب الله لتبطل ما قبلها وتعضد ما بعدها ؛ لأنَّ إبطال الحكم السابق يؤدي إلى التوسع في دلالاته مما ينتقل بالنص إلى التماسك الأشمل مما لو كان الإضراب عن المقول فحسب ، ففي قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ البقرة ١١٦ ، فلم ينف جلَّ في علاه اتخاذه ولدا نفيا مباشرا ، فقد توسع في نفي هذه الفرية لينفي ما اشتملت عليه بوساطة حرف الإضراب (بل) مما أكسب النص تماسكا معنويا وربطيا ، فقوله تعالى : ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ هو ردٌّ " بأن من ملك السماوات وما فيها، وملك الأرض وما فيها – لا تمسه حاجة، ولا يقهره عدو؛ إذ كل ذلك ملك له، يجري فيهم تقديره، ويمضي عليهم أمره وتدبيره "(الماتريدي ٢٠٠٥، ٥٤٦) ، فما بعد (بل) هو استدلال على فساد ما قبلها ، فـ " المعنى أنه تعالى خالق ما في السموات والأرض، الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كلٌّ له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه"(البيضاوي١٤١٨، ١٠٢) لأنَّ الآية نزلت في ادعاء اليهود بأنَّ " عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله"(البيضاوي ١٤١٨،١٠٢) .

فالإبطال بين في الآية الكريمة ، فبعد أن ذكر المولى عزّ وجل ادعاءهم " أذ في إبطال تلك المقالة ، فقال : ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (الأندلسي ١٤٢٠ ، ص٥٨١)" بردّ أشمل كما أسلفنا ، وهنا تبر اهمية أدوات الربط بين النصوص وما تضفيه من تماسك واتساق ؛ لأنَّ هذه الادوات تؤدي دورا ذا بال من حيث أنَّها تضفي الاتساق على النَّص"(مانغونو ٢٠٠٨ ، ص٢٦) ، والإبطال بأداة الإضراب (بل) أدى إلى التوسع في دلالات الآية الكريمة مما انتقل بها إلى التماسك الأشمل مما لو كان الإضراب عن القول المقول فحسب .

تتعدد الجمل في التراكيب اللغوية ، وهذه الجمل بحاجة إلى ربط بين أجزاء تلك التراكيب ، وغالبا ما تكون الجملة الأولى هي الأساس ، وهي المنطلق إلى باقي الجمل التالية لها ، فهي " تحكم سائر الجمل اللاحقة لها . إن وجدت . بحكم ورودها في البداية في نقطة الانطلاق ، وهي المعلم الأول المؤسس لكل المعالم في النص"(بحيري ١٩٩٧ ، ص٨١) ، ويكمن الإبداع اللغوي في كيفية ربط تلك الأجزاء ، وجعلها كلا واحدا ، لا تنافر بين أجزائها ، فضلا عن اختيار الأدوات النحوية الملائمة لدلالات النص التي تخدم إرادة المتكلم ، ليكتسب النص بها بعد ذلك نصيته وتماسكه .

وإذا كان قصد منشئ النص هو إبطال معنى وإثبات آخر تبرز إلينا (بل) لإتمام هذا القصد ، والتمثّل بكتاب الله تعالى في هذا المبدأ يحتاج إلى وقوف وطول تأمل ، فالإضراب ليس تضادا وتباينا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

في الحكم أو المعنى فحسب ، بل هو نتيجة يدحض بها المضرب عنه ، وقد لا تكون الجملة الأُولى هي الجملة الأساس في القصد الدلالي لها ، يتحدد ذلك بكم الدلالات التي تحملها الجملة ؛ لأنَّ " معيار تحديد المركزية هو كمية المعلومات التي يفرزها الخطاب ، في تسلسله بالنسبة لمحورٍ ما ، على هذا الأساس يصبح التفاوت بين محاور الخطاب الواحد من حيث المركزية تفاوتا في كمِ المعلومات التي تشكّل هذه المحاور موضوعات لها ، ويصبح بذلك المحور الرئيس في خطاب ما المحور الذي يستقطب الكمَّ الأكبر من المعلوماتً في ذلك الخطاب "(المتوكل ٢٠٠١ ، ص١١٢) .

والأمثلةُ تترى في النصِ المقدّس ، منها ما ورد في قوله تعالى : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾ الانبياء ١٧ ، ١٨ ، فَإن عدنا إلى كتب التفسير وجدنا أنَّ الحمولات الدلالية التي تحملها الجملة المضرب بها هي أكثر توسعا من الأُولى ، ذهب الزمخشري مفككا اختزالات النص القرآني إلى أنَّ " بل إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب، بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد، وندحض الباطل بالحق "(الزمخشري ١٤٠٧ ، ١٠٧/٣) ، فقد توسع في نفي أو إبطال اتخاذ اللهو واللعب ليذهب جلَّ ذكره إلى مبدأ عام وهو أن "يدحض الباطل بالحق"(الاندلسي ١٤٢٠ ، ٤١٦/٧) .

وقد يكثّف الإضراب المعاني ، وتختزلها (بل) في كينونتها ، فيحذف جواب مبطل ، ويدفع بنتيجته ، مما يؤدي إلى ربط العلاقات بين الألفاظِ فيكون التماسك بينا ؛ لأنَّ التماسك يتأتّى من " مجموعة من العلاقات اللفظية والدلالية بين أجزاء النص ، إذ تلتحم هذه الأجزاء ، ويتماسك بعضها مع بعضً ، بحيثُ إذا غاب هذا الالتحام ظهر هذا النّص وكأنّه أشلاء ومزق لا رابط بينهما "(استيتيه ٢٠٠٣ ، ص٢٧) ، من ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ سبأ ٢٧ ، فأوجزت (كلا) جوابهم ، وأنكرته (بل) ، وجاءت بنتيجته ، فأسهم الحرفان بربط تركيبي ودلالي كان له أوضح الأثر في تماسك النص ، يقول القرطبي (٦٧١هـ) مفسرا : " إنَّ "كلاّ" ردٌّ لجوابهم المحذوف ، كأنه قال : أروني الذين ألحقتم به شركاء ، قالوا : هي الأصنام ، فقال : كلاّ ، أي : ليس له شركاء (بل هو العزيز الحكيم) "(القرطبي ١٩٦٤ ، ٣٠٠/١٤) .

وقد حظيت ظاهرة الحذف بأهمية بالغة الدرس اللساني الحديث ، ولم تترك المسألة عفو الخاطر بل خضعت لقوانين لغوية ومقامية ودلالية ، فهي عند دي بوجراند تعتمد السياق اللغوي والمقامي ، يقول واصفا إياها : " إنه استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

أن يوسع ، أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة "(دي بوجراند ١٩٩٨ ، ٣٠١) ، ووجه علي أبو المكارم الحذف بأنه : " إسقاطٌ لصيغٍ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية "(ابو المكارم ٢٠٠٧ ، ص٢٠٠) .

وحذف العنصر اللفظي من الجملة لا يتم إلّا إذا أغنت عنه بقية الأجزاء التركيبية من الجملة ، وموارد الإضراب الإبطالي في كتاب الله تعالى حملت الكثير من المحذوفات في باب النفي ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ البقرة ١٧٠ ، فقد ذهب العكبري (٦١٦ هـ)إلى أنَّ (بل) هنا للإضراب عن المعنى الأول(العكبري، ١٣٩) ، وهي " عاطفةٌ جملةً على جملة محذوفة ، التقدير : لا نتّبع ما أنزل الله ، بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا "(الاندلسي ١٤٢٠ ، ١٠٣/٢) .

وكمثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾ سبأ ٧ . ٨ ، فقد قدر القرطبي محذوفاً مضربا عنه قبل (بَلَ) ، وقدره "ليس الأمر كما قالوا ، بَلَ هو أصدق الصادقين، ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب "(القرطبي ١٩٦٤ ، ٢٦٣/١٤) .

وقد تضمر (بل) معاني ودلالات في الصيغ التركيبية بعدها ، وتنتقل بالمعاني من الإثبات إلى الإبطال ، مما يجعل القارئ مشدودا إلى ما أُضمر ، ويكسب النصَّ ترابطا وتراصا لفظيا ودلاليا ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ الفتح ١٥ ، انظرَ إلى المساحة التفسيرية التي أولاها النصّ الشريف إلى المفسرين ، حيث تنوعت تأويلاتهم في المعاني المخبوءة في الفعلين (يحسدوننا) و (لا يفقهون) بعد (بل) ، الآية نزلت في النبي " صلى الله عليه وآله وسلم" وأصحابه من المؤمنين " لما رجعوا من الحديبية وعدهم الله خيبر، وأن فيها سيظفر بأعدائه، فلما هم بالخروج أراد هؤلاء المخلفون أن يتبعوه لما علموا في ذلك من الغنيمة ، ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما يخرج معى إلى خيبر من خرج إلى الحديبية، والله بذلك حكم ألا يخرجوا معنا، فقال المتخلفون: إنما يقول المؤمنون ذلك حسدا لنا "(القشيري ، ٤٢٤ ، ٤٢٥) وهو قولهم :﴿بل تحسدوننا﴾ ، ثمَّ عرج القرآن الكريم لإبطال ما حسبوه من أمرهم ، فقال : ﴿ بل كانوا لا يفقهون ﴾ ، أي : " لا يعلمون عن الله ما لهم، وما عليهم من الدين، إلا قليلا يسيرا منهم، وهو من صدق الله والرسول"(الواحدي ١٩٩٤ ، ١٣٨) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لمسنا التماسك النصي في تلكم النصوص الشريفة التي أولاه حرف الإضراب (بل) ، والذي تحقق بوساطة " العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية "(الفقي ٢٠٠٠، ٩٦/١) ، فضلا عن اختزال المعاني ، أو حذفها والاستدلال عليها بالمضرب عنه ، وذلك كله أسهم في إيجاد العلائق بين التراكيب دلاليا ، مما ادى بنتيجته إلى تماسك النصوص التي تضمنته .

ثالثا : التماسك النصي بـ(بل) في باب الإضراب الانتقالي .

أوردت كتب النحو أوجه عدة للإضراب بـ(بل) منها " الانتقال من غرضٍ إلى آخر"(ابن هشام ١٩٨٥ ، ص١٥٢) ، وتوسع قسم من النحاة في أغراضها في الانتقال فذهبوا إلى أنها تفيد " الانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى"(الاسترابادي ١٩٩٦،ص٤١٩) ، فهي هنا لا تبطل أو تنفي ما قبلها بل تنتقل إلى حكمٍ أهم من الأول .

وظاهر كلام النحاة أنَّ ما قبلها بحكمِ المتروك ، وليستْ له أيّةُ وظيفة دلالية ،وهذا خلاف الواقع اللغوي والتركيبي ، وقد ذهب الدكتور مصطفى حميدة إلى أنَّ (بل) " حرفُ عطف وأداة ربط حيثما استُعملت ، وكونها تؤدي وظيفة الربط يجعل ما بعدها ذا علاقة سياقية بما قبلها ، وعلى هذا فهي حين تؤدي هنا معنى الإضراب الانتقالي لا تكون وظيفتها مقصورة علىً مجرد الانتقال من كلامٍ إلى كلام دون إنشاء علاقة سياقية بينهما ، وإنما وظيفتها في الربط بين الكلامين تجعلها تقيم علاقة سياقية بينهما ، بحيثُ يستفاد من التركيب معنى دلاليٌ لم يكن ليفهم لو لم تستعمل بل "(حميدة١٩٩٩ ، ص٣٥٥) .

والانتقال من حكمٍ إلى آخر من دون إبطالٍ للأول كان لـ (بل) فيها رباطٌ محكمٍ ، ولولاها لما تماسك الكلام ، وصار منقطعا ، ولما ربطت المعاني في السياق نفسه لو كان حرف آخر بدلها ، والمتدبر لآيات الكتاب الحكيم يدرك مصاديق كثيرة لهذا ، وسنورد قسما منها تدليلا على ما ذُكر .

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٩ ، ١٥٠ ، أدرجَ أبو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) الإضراب في الآية بضمن الإضراب الانتقالي ، فـ (بل) فيها إنما جاءت " لترك الكلام الأول من غير إبطال وأخذ في كلامٍ غيره "(الأندلسي ١٤٢٠ ، ٣٧٦/٣) ، ففي الجملة قبل (بل) نهي لطاعة الذين كفروا ، وما بعد (بل) حثٌ بأنَّ الله سبحانه أولى بالطاعة ، فهو الناصر والحافظ والولي(الماتريدي٢٠٠٥ ، ٥٠٥/٢) ، فالجملة الاولى لم تبطل ، ولو يضرب عن دلالاتها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لأن عدم طاعة الكفار هي من لوازم الإيمان ، لكن هناك ما هو أهم ، لذلك انتقلت الآية إلى ما هو أهم ، وهو الولاية لله ، ولو كان مكان (بل) حرف آخر غيرها لما صرنا إلى هذه المعاني ، فهي هنا أكسبت النصين النص قبلها والنص بعدها تماسكا في المعاني والدلالات .

يؤدي حرف الإضراب (بل) أدوارا مهمة في تجميع دلالات النص وتراصها ، وعدمِ تشتيتها ، مما يكسب النص تلاحما وتماسكا ، وتماسك النص هو من إثباتات نصيته ، فهو " من عوامل استقرار النصِ ورسوخه ، ومن ثم تتضح أهميته في تحقيق استقرار النص ، بمعنى عدم تشتيت الدلالات الواردة في الجمل المكونة للنص "(الفقي ١،٢٠٠٠/٧٤) .

وتعدُّ حروف العطف " من أصعب أدوات الربط تحديدا ، كونه تماسكا وظيفيا بدرجة كبيرة ؛ لأنه يعتمد على الروابط السببية بين الأحداث التي يدلُّ عليها النَّص "(عفيفي ٢٠٠١ ، ص١٢٨) ، ومن صورِ الرَّبط بين المتواليات التركيبية ما " يربطُ بين صورتين تكون محتوياتهما متماثلة وصادقة ، غير أنَّ الاختيار يقع على محتوى واحد "(عفيفي ٢٠٠١ ، ص١٢٨) ، وفي هذا المورد يمكن استعمال حرف الإضرابِ (بل) التي تربطُ ما قبلها بما بعدها أو العكس في وظيفية تبادلية بين طرفي الجملة الإضرابية ، بحيث يحتاج إليهما من غير استغناء وإن كان أحدهما مدفوعا أو مردودا .

من ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ ق ٤ ، ٥ ، يذكر الزمخشري (٥٣٨هـ) في توجيه الآية أنها إضرابَ عن إضرابٍ غيرَ مستغنٍ عنه ، مشيرا إلى آية أُخرى سبقت هذه الآية في السورة نفسها ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ق ٢ ، قال : " بل كذَّبوا إضرابٌ أتبَع الإضراب الأوَّل، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم"(الزمخشري ٤،١٤٠٧/٣٨٠) ، فالإضرابان سردا الحال الذي هم فيه ، وفي (بل) الثانية انتقاله من معنى جزئي إلى ماهو أشمل وأعم منه ، مما أكسب النص قوة دلالية وتماسكا نصيا .

وهذا الانتقال نلمسه في نصوصٍ أُخرى في كتاب الله تعالى ، تؤديه (بل) ، أشار إليه الزمخشري أيضا ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ السجدة ١٠ ، يوجه صاحب الكشاف الآية أنه لمَا " ذكرَ كفرهم بالإنشاء، أضربَ عنه إلى مَا هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميعِ ما يكون في العاقبة، لا بالإنشاء وحده "(الزمخشري ١٤٠٧ ، ٤/٣٨٠) ، فنرى أنَّ (بل) أدت وظيفة دلالية أنها انتقلت من الخاص إلى ما هو أعم منه ، وهذا العموم كان بضمنه ما أُضرِب عنه ، وفي هذه دور ربطي قد لا تؤديه إلا هي .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وتتوسع معاني الإضراب الانتقالي بـ(بل) بحسب السياق الذي يحويها ، وتربط حكمين يكون في الأوّلِ دلالة علي التقبيح ، وفي الثاني بعد (بل) تقييم لذلك الحكم ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥ وتذرون ما خلق لكم ربُّكم من أزوٰجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ الشعراء ١٦٥ ، ١٦٦ ، فقوله تعالى : ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ " أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور وترك الأزواج"(الزركشي ١٩٥٧ ، ص٢٤) وذكر أبو حيان الأندلسي أنه " إضراب بمعنى الانتقال من شيء إلى شيء لا أنه إبطال لما سبق عليهم وتقبيح أفعالهم "(الاندلسي ١٤٢٠ ، ١٨٤/٨)، وقد أفادت (بل)في النص الشريف الانتقال من دلالة لأُخرى وربطت بينهما ربطا تركيبي وإضرابا دلالي .

وقد تجمع (بل) خبرين يلتقيان في الدلالة ، ولا يضرب أحدهما الآخر بالمطلق ، بل تتوسع في الدلالة والمآل ، وذلك ما يحدده السياق الذي تأتي فيه ، من ذلك ما ورد في كتاب الله من وصف أهل جهنم من الجنّ والإنس في قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من ٱلجن وٱلإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كٱلأنعٰم بل هم أضل أولئك هم ٱلغٰفلون ﴾ الأعراف ١٧٩ ، فلمَ يبطل كونهم كالأنعام التي لا تفقه ولا تبصر ، فهم أكثر ضلالا منها ؛ " لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها التي تعلفها وتعهدها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم"(الثعلبي ٢٠١٥ ، ص١٣٩) ، فالآية " إضراب دالٌّ على الانتقال من إخبار إلى إخبار ، فالجملة الأُولى شبهتهم بالأنعام في انتفاء منافع الإدراكات المؤدية إلى امتثال ما جاءت به الرُّسل ، والجملة الثانية أثبتت لهم المبالغة في ضلال طريقهم التي يسلكونها"(الاندلسي ١٤٢٠ ، ٢٣٢/٥) ، وهنا ندرك الأهمية التي أولاها استعمال حرف الإضراب (بل) في تماسك النص ، وازدياد حمولاته الدلالية .

ما يخلص إليه هذا الجزء من البحث أنَّ الإضراب الانتقالي بـ(بل) لا يمكن أن يستعاض عنه بأداة عطف غيرها ، فضلا عن التماسك النصي التي اكتسبها النص من استعمالها .

النتائج .

١ . لم يقف الإضراب بـ (بل) عند الإضراب اللفظي ، أو الإضراب عما قبلها وإثبات ما بعدها فحسب ، بل تعدت ذلك إلى دلالات يحددها السياق الذي يقتضيه الموقف .

٢ . إنَّ حرف الإضراب (بل) من أدوات الربط المائزة التي أكسبت النصوص الشريفة تماسكا وتضاما بعضها إلى بعض .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

٣. لم يتّفقِ اللسانيون على مصطلحٍ للتماسك ، فتعدّدت إثر ذلك مصطلحاته ومسمياته ، لكن مدلولاتها لم تبتعد كثيرا ، وهما يكن من أمر فهو آلةٌ لغوية لإثبات نصية النص .

٤. امتزجت ظاهرتا الحذف والإضراب في قسمٍ من النصوص الشريفة ، فأنتجتا نصا مسبوكا توسعت فيه التأويلات والتقديرات من لدن المفسرين واللغويين .

٥. عُدل بـ (بل) في قسمٍ من آيات كتاب الله العزيز عن موضوعٍ لإثبات موضوعٍ آخر ، فامتزج الإبطالَ والإضراب في نصٍ واحد ، ووظّفتا لخدمة النص وتماسكه .

٦. من الدلالات المضمرة في (بل) أنها ينتقل بها من معنى لآخر من غيرِ إبطالٍ للأول ، لكنّ ما يأتي بعدها هو الحكم المراد من النص ، وهذه المتوالية اللغوية أكسبت النصوصَ الشريفة تماسكا وإحكاما لغويا ودلاليا .

المراجع والمصادر .

القرآن الكريم

١. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ابو السعود العمادي (٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ج٦ .

٢. أساليب العطف في القرآن الكريم ، د . مصطفى حميدة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٣. الاسلوبية ونظرية النص ، د . ابراهيم خليل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (٦٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ج١ .

٥. البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، ١٤٢٠هـ ، ج١ ، ج٢ ، ج٣ ، ج٥ ، ج٧ ، ج٨ .

٦. البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ (٥٣٠ هـ) ، تح : أحمد بدوي ، وحامد عبد المجيد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د. ط ، د . ت .

٧. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (٧٩٤هـ) ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط١ ، ١٣٧٦هـ . ١٩٥٧م ، ج٣ .

٨. بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، أحمد المتوكل ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٩. البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، د . ط ، ١٤٢٣هـ ، ج١ .

١٠. تأويلات أهل السنة ، ابو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) ، تح : مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م /١٤٤٤هـ

١١. التبيان في اعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري (٦١٦ هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، د ط ، د ت .
١٢. تناسق الدرر في تناسب السور ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٣م .
١٣. تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، تح : محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ج١٢ .
١٤. جامع البيان عن تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) ، تح : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
١٥. الجامع لأحكام القرآن ، شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) ، تح : أحمد البردوني وابراهيم طفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م ، ج١١، ج١٤ .
١٦. الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي (٧٤٩هـ) ، تح : د . فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
١٧. الحذف والتقدير في النحو العربي ، د . علي أبو المكارم ، دار غريب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
١٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، تح : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د ط ، د ت .
١٩. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد بحيري ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٢٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، تح : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، ط١ ، د . ت .
٢١. شرح الرضي على الكافية ، الرضي الاستراباذي (٦٨٨هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قازيونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ١٩٩٦م ، ج٤ .
٢٢. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، د ط ، ١٩٩٨م .
٢٣. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، د . صبحي ابراهيم الفقي ، دار الأوفياء ، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م ، ج١ ، ج٢ .
٢٤. عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي (٩٨٢هـ) ، تح : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢ م .
٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ج٣ ، ج٤ .
٢٦. الكشف والبيان في تفسير القرآن ، أبو اسحاق الثعلبي (٤٢٧هـ) ، تح : عدد من الباحثين ، دار التفسير ، جدة ، السعودية ، ط١ ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

٢٧. اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي (٧٧٥هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م ، ج١١ .

٢٨. لسان العرب ، ابن منظور (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج٢.

٢٩. لسانيات الخطاب ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م .

٣٠. لطائف الاشارات ، القشيري (٤٦٥هـ) ، تح : ابراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د ت ، ط٣ ، ج٣ .

٣١. اللغة ، جوزيف فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلومصرية ، د ط ، ١٩٥٠م .

٣٢. اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة د . عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، د ط ، ١٩٨٧م .

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية (٥٤٢هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ج٣ ، ج٤ .

٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٣٥. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، ترجمة : محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، ط١ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٨ م .

٣٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام (٧٦١ هـ) ، تح : د . مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥م .

٣٧. المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ، تح : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

٣٨. مقدمة في اللغويات المعاصرة ، شحده فارع وآخرون ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠م .

٣٩. منازل الرؤية ، منهج تكاملي في قراءة النص ، سمير استيتيه ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٣م .

٤٠. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د . أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٤١. النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د . تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م .

٤٢. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن الواحدي (٤٦٨هـ) ، تح : عادل احمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، أحمد محمد صيرة ، د . أحمد عبد الغني جميل ، د . عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م ، ج٤ .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ